الباب الأول

أهداف التعليم وأهميته ودوافعه

obeikandl.com

obeikandl.com

الأهداف العامة للتعليم في الوطن العربي:

إن ثاني أهم التشريعات التي تتضمن تحديد هوية الدولة والأمة،وتسعى لتفعيلها هي: تشريعات التربية والتعليم فهي الوسيلة الأولى لتحقيق الفلسفة العامة للدولة والتعليم أول حق من حقوق الانسان، وهوالقاعدة الصلبة التي تبني عليها الأمم مشروعاتها، وتحقق من خلاله مستقبلها الذي تنشده يتم به تحقيق أهداف متعددة:أولها تنيمة مكونات الهوية الثقافية الوطنية والعربية، وغرس القيم الدينية والخلقية، والعلمية وقد وضعت كل الدول العربية رؤيتها العامة، ضمن أهداف التعليم في كل مراحله وعلى الرغم من أهمية التربية والتعليم في تعزيز الهوية العربية للطفل العربي؛ إلا أن تأثيرها لا يبدو فى المستوى المطلوب منها،وقد يرجع إلى إثقال كاهلها بالعلوم والمعارف المختلفة، وعلينا أن نبذل جهوداً أكبر لترسيخ الهوية العربية من خلال التربية والتعليم؛ لكونها هي المؤسسة التي لم تطلها اختراقات الثقافات الأخرى حتى الآن؛ نتيجة للأشراف المباشر من قبل الحكومات العربية.

يؤدي التعليم دوراً هاماً في التنشئة الاجتماعية والسياسية؛ لأنه عملية تخضع للتوجيه من جانب الجماعة، لأن هذه الجماعة تحرص على تربية أبنائها لكي يصبحوا مواطنين عاملين فيها، وفقاً لأهداف الجماعة وفلسفتها، وهذا ما يسهم بالتالي في تشكيل هوية الطفل.

أهمية اللغة العربية في المحافظة على الهوية

تلعب اللغات الراقِيَة لدى أبنائِها المُنتَسِبين إليها دورًا يَتجاوَز مجرَّد مهمَّة التوصِيل،وقضاء الحاجات اليوميَّة، مع التسليم بأهميَّة هذه الأشياء في حياة البشر فالحياة يُمكِن لها أن تتحقَّق ويتمَّ التواصُل بين أطرافها من خلال الوسائل غير اللغوية؛مثل الإرشادات والرُّموز البسيطة، وصَيْحات الإعلان عن الحاجة أو القناعة أو السخط والرضا،وهو ما نلحظه على نِطاق واسِع، في عالم الطيور والحيوان من حولنا، وفي مراحل الطُّفولة المبكِّرة، وعند ذوي الحواسِّ المُعَطَّلة الذين لا يُكَلِّمون الناس إلا رمزًا،ومع ذلك تَسِير حياتهم ويُعَبِّرون عن رغباتهم دون أن يَندَرجوا في مَراحِل التعبير المُتَفاوِتة وتمتدَّ إلى داخِل اللغة العربية ذاتها؛ فظهرتْ صَيْحات منذ أوائل القرن العشرين، تدعونا إلى أن نكتب نحن أيضًا لغتنا العربية بحروف لاتينية؛ بدعوى تسهيل تداوُلها في العالم، وما زلنا نرى زحْف الحروف اللاتينية على واجِهات المحلاَّت في كثيرٍ من مُدُن العالم العربي؛ ممَّا يُشَكِّل ظاهرة سلبيَّة لا تَلِيق بأمَّة تحرص على أن تكون لها شخصيتها وهُويَّتها المستقلَّة.

ونحن ينبغي في الوقت نفسِه أن نُشِيد بالتجارب العالمية المُعاصِرة، التي أدركت أهميَّة اللغة في المحافظة على شخصيَّة الأمَّة،أو اتَّخذت خطوات إيجابيَّة في سبيل المحافظة على قوَّة لغتها، أو إحيائها وتوظيفها بقوَّة في الحياة العلمية والعملية؛ ممَّا ترتَّب عليه إحياء شخصيَّة الأمَّة والمحافظة على قوَّتها،

وفي هذا الصَّدَدِ نقتَبِس قول شاعر صَقلية أجنازيا بوتينا حين يقول: إن الشعب يفتقر ويُستعبَد عندما يُسلَب اللسان الذي ترَكَه له الأجداد وعندئذٍ يضيع للأبد.

وترجع أهمية اللغة العربية لضرورتها فى فهم الإسلام فاللغة هي الوسيلة الأولى للتخاطب بين الناس وأهمّ أداةٍ من أدوات التفكير وهي وعاء العلم والمعرفة، تحفظُها الكتابةُ من الضياع وهذه الأمور الثلاثة تكاد لوضوحها أن تكون من البديهيات، لكن الناسَ في حياتهم العملية لم يعطوها ما تستحقُّه من الاهتمام ومع أنها مشتركة بين اللغة العربية وسواها، إلا أن العربية تتميز عن غيرها بأنها لغة الدين الإسلامي، فالقرآن الكريم نزل باللغة العربية والآيات التى تثبت ذلك عديدة والرسول ص خاطب قومه العرب بلسانهم وهكذا فالأساسين الأوَّلين لهذا الدين القرآنَ والسنة باللغة العربية، ولا يمكن فهمُهما، ومعرفةُ أسرارهما، واستنباطُ الأحكام منهما لغير المتمكّن من هذه اللغة المباركة وقد أدرك الأئمةُ الأقدمون أهمية اللغة العربية في فهم كلام الله سبحانه وكلام رسوله ص فهذا الإمام الشافعي يقول عنه زوجُ ابنته: أقام الشافعي علمَ العربية وأيامَ الناس يتعلمهما عشرين سنة[1] ، فقلنا له في هذا، فقال: ما أردت بهذا إلا استعانةً على الفقه أي: ظلّ عشرين سنة يتبحّر في اللغة العربية وعلومها ليفقه ويفهمَ القرآن والسنة، ولا يستغرب منه هذا، فهو

١] الفقيه والمتفقه؛ الخطيب البغدادي: ٤١/٢

الذي يقول: أصحاب العربية جِنُّ الإنس، يُبصرون ما لم يبصرْ غيرُهم وكان علماء الدين يقولون: من تكلّم في الفقه بغير لغةٍ تكلم بلسان قصير! وكانت في الجيل الأول، جيل الصحابة ملكةً وسليقة، ثم لما انتشر الإسلام في شتَّى البلاد، واختلط العرب بالمسلمين الجدد بالمصاهرة والمعاملة، والتجارة والتعليم، ودخلت في لسانهم العجمةُ وبدأ الخطأ في الكلام، فخفضوا المرفوعَ، ورفعوا المنصوب، وما إلى ذلك.

وقد بدأ هذا اللحن في وقتٍ مبكر جدًّا، إذ يُروى أن عليًّا هو الذي وجَّه أبا الأسود الدؤلي إلى أن يضع أصولَ علم النحو حفظًا على اللغة العربية من الضياع فكيف الحال في زماننا، بعد مضي أكثر من أربعة عشر قرنًا؟ ومن العلوم المهمة جدًّا في فهم كلام الله سبحانه وكلام رسوله ص بعد علوم العربية علم أصول الفقه الذي يُحدِّد قواعد استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية في القرآن والسنة، وهو أيضًا بحر لا ساحل له، وقد كُتِبَ باللغة العربية ونَقْلُهُ إلى لغة أخرى يُخِلُّ بالكثير من مقاصده، وهو إحدى الأدوات المهمة لمن يريد الاجتهاد في الدين وغني عن البيان أننا عندما نتكلم عن اللغة العربية، فإننا نعني: اللغة الفصحى، لا اللهجاتِ المحلية العامية التي ابتعدتْ عن أصلها، وتباينت فيما بينها تباينًا كبيرًا، جعل العربي المشرقي لا يكاد يفهم شيئًا مِن عامية العربي المغربي، وبالعكس.

أهمية اللغة العربية الفصحى

تعتبر اللغة العربية الفصحى بالنسبة للأمة العربية أهم من أية لغة أخرى بالنسبة للأمة التي تتكلم بها، ويرجع ذلك لتفرد اللغة العربية بعدد من السمات والملامح لا تتوافر فى اللغات الأخرى فهي لغة القرآن ولغة قومية جمعت العرب من قديم في وحدة لغوية متماسكة على الرغم من تعدد اللهجات المحلية ولغة تراث بمعنى أنها كانت ومازالت الوعاء الذي حفظ التراث العربي والإسلامي، وصانه من الضياع، يستوي في ذلك العلوم الإنسانية والتجريبية ، إنها حفظت من الضياع كثيرا من شرائح التراث اليوناني الذى ترجم إلى اللغة العربية، وضاعت أصوله اليونانية، فترجمه علماء اليونان بعد ذلك من العربية إلى اليونانية وفى اللغة العربية من الملامح والخصائص ما لا يتوافر في كثير من اللغات الأخرى على سبيل التمثيل: حروف العطف، اختلاف صور الفعل باختلاف المسند إليه، خصوصا فعل الأمر، قضية الترادف، وزيادة الوصف الخ.

ومحاولات هدم العربية الفصحى ارتبط أغلبها بحركات التنصير والإستشراق، وتولي كبرها كثير من العلمانيين الذين ساروا على درب المنصرين والمستشرقين بالوعي أو باللاوعي، ومن هذه المحاولات التي نجح بعضها، وباء بعضها الآخر بالإخفاق زرع اللغات الأجنبية والإنجليزية خاصة ومزاحمتها للغة العربية الأم، حتى انفردت دون العربية بالتدريس، كما نرى في كليات الطب، والهندسة بجمهورية مصر العربية والانتصار للعاميات

بإنشاء معاهد وأقسام مستقلة لما يسمي بالأدب الشعبي ومحاولة الهدم بدعوى تسهيل اللغة العربية، وقد أخذت هذه الدعوى أو هذا الادعاء صورتين:

الأولى: المناداة بإلغاء الإعراب، وتسكين أواخر الكلمات.

الثانية: اختصار حروف الأبجدية (بمعنى أن يكون للحرف صورة واحدة في الكلمة سواء أكان موقعه في أولها أو وسطها أو نهايتها) .

٤ـ تغليب العامية في وسائل الإعلام، والأداء في التدريس.

نشأة المدارس الأجنبية

في عام ١٨٦٣م اقترح المنصِّر هاملين على صديقه روتشيلد اليهودي إنشاء مدرسة ثانوية بجوار قلعة الروملي قائلاً: لقد أنشأ الأتراك حصناً لفتح إسطنبول، وأنا سأنشئ هنا مدرسة لهدمهم هذه العبارة على ايجازها تلخص لنا الدور الخطير الذي لعبته المدرسة الأجنبية في تفكيك العالم الإسلامي وتفتيته؛ لقد مكر أهل الكتاب مكر الليل والنهار لرد المسلمين عن دينهم تارة بحروب صليبية وتارة بتدبير المكائد الداخلية، وفي كل مرة كان العالم الإسلامي يهب هبته ينفض عنه مكر أهل الكتاب، وفي كل مرة كان الغرب يبحث عن لبنة سنمَّار حتى ظفر بها أخيراً؛ إنه حبل التلقي الموصول بالله عبر المسجد والمدرسة والأم فلتكن المعركة في هذه الساحة لا بهدمها كما صنع بونابرت إنما بتفريغها من محتواها أولاً وتبديله بمحتوى مخالف أياً كان هذا المحتوى ليفعل فعل السرطان في الجسد عندما تتغير كيمياء خلية واحدة.

لكن كانت أول شرارة قدحت في افتتاح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين في بيروت بإنشاء مدرسة للبنات في الإمبراطورية العثمانية سنة ١٨٣٠م، لأن البنات سيكنّ أمهات فإذا تربيتهن في هذه المدارس ذات الثقافة المختلفة قد يؤثر ذلك على أولادهن، وفي مصر عام ١٨٤٠م من خلال بعثات التنصير قاموا بتأسيس الكلية الفرنسية بالإسكندرية والجمعية الإنجيلية البروتستانتية، ثم تبعتها مدارس آباؤهم اليسوعيين عام ١٨٨٠م كمقدمة لاحتلال مصر عام ١٨٨٢م وبلغ مجموع الطلاب من المسلمين ٧١١٧ طالبًا مسلمًا حتى عام ١٨٩١م وكان انتشار المدارس الأجنبية فيها مكثفًا حتى أنها الآن تبلغ عشرات الآلاف من المدارس ويبلغ نسبة الدارسين فيها من المسلمين ٥٢% من الطلاب فى مصر ويذكر مؤرخوا المدارس الأجنبية أن الجالية اليونانية كلما حلوا في بلد أنشئوا فيه كنيسة ومدرسة كما فعلوا في الإسكندرية عام ١٨٤٣م ثم في المنصورة، وطنطا، وبورسعيد، والسويس، والقاهرة وغيرها، ثم تطور بهم الحال إلى إنشاء كليات للتعليم العالي، وكان أولها في بيروت سنة ١٨٦٢م وتحولت فيما بعد باسم الكلية السورية الإنجيلية ثم هي اليوم (الجامعة الأمريكية في بيروت) ، ثم في القاهرة الآن باسم الجامعة الأمريكية وفي جبال النوبة استولت الإرساليات البريطانية على التعليم فيها منذ عام ١٩١٩م وحاصرت توسع الإسلام واللغة العربيـة، وأقفلت ما يفتح مـن المدارس الإسلامية عام ١٩٣١م وفي العراق في أوائل القرن العشرين كانت أول مدرسة في البصرة مدرسة للبنات، ثم انتشرت مدارسهم في أنحاءه وهذا ما

جرى عليه الحال في سائر بلاد الإسلام وكان جل اهتمام التنصير منصبّاً على مصر وباكستان تحديداً؛ لذا نالا قسطاً أكبر من الغزو عموماً ومن خلال التعليم على وجه الخصوص يقول ستيف نيل مؤرخ الكنيسة في العالم الإسلامي دولتان تمثلان أكبر أهمية بالنسبة للتنصير، هما باكستان ومصر، وسقوط إحداهما في قبضتنا يعني إزالة أكبر عقبتين من طريق الكنيسة والأمر لا يتوقف عند مصر أو باكستان أو بلاد الشام، إنما زحف نحو جميع البلاد في غفلة من المسلمين وتشير الأرقام إلى وجود ٢٦٤ مدرسة تنصير في ماليزيا، وفي قطر هناك أكثر من ٣٠ مدرسة، وفي مدينة مقديشو وحدها أكثر من ثلاثين مدرسة صليبية وطبقاً لإحصائيات عام ١٩٩١م توجد ١٦٥٠٠ مدرسة نصرانية في أفريقيا وحدها.

ومن خلال هذا الجهد المكثف نجح التعليم الأجنبي بمدارسه وجامعاته في تخريج أجيال عملت على خدمة مصالح الغرب على تفاوت فيما بينها؛ فقد تخرج فيها كثير من القيادات القومية الفكرية والسياسية من بين المسلمين والنصارى دون فرق إلى حد بعيد في كل من مصر ولبنان وفلسطين والأردن وسوريا والعراق والسودان، ومن أبرزهم: ميشيل عفلق، وجورج حبش، وقسطنطين زريق، وأنطون سعادة، ولويس عوض وغيرهم، وكان من عملاء هؤلاء المنصرين في تركيا الجنرال أحمد وفيق باشا الذي وفر أرضاً للمدرسة؛ لذا لما سئل السلطان عبد الحميد الثاني عن المكان الذي سيدفن فيه الجنرال، قال: في قلعة الروملي؛ ليستمع الرجل الذي باع للبروتستانت أرضاً ليؤسسوا

عليها أجراسهم،أصوات هذه الأجراس إلى يوم القيامة وقد أولت الدول المستعمرة خلال فترة ما بين الحربين اهتماماً شديداً بتثقيف أبناء الأمراء والعظماء وكبار رجال السياسة، ونقلهم إلى التعليم في المعاهد الأجنبية؛ لإعداد هذه الطبقة، وقد كان إغراؤهم عجيباً لكثير من أصحاب المراكز العلمية حتى بعض كبار المسؤولين في مجال الإسلام على تعليم أبنائهم وبناتهم، وقد أشارت تقاريرهم إلى ذلك بما أسمته: نزوع الطبقة الراقية إلى المدارس الأجنبية.

دوافع تعلم اللغة الثانية أو الأجنبية

للدوافع تأثير كبيرفي تعلم اللغة الثانية وفقدان الدوافع يؤدي إلى الفشل في تعلم اللغة وهناك نوعان من الدوافع الغرضية وهي الدوافع التي تحرك دارس اللغة الثانية إلى تحقيق أهداف وحاجات قصيرة المدى مثل شغل وظيفة أو السياحة الخ والدوافع التكاملية وهي الدوافع التي تحرك دارس اللغة الثانية إلى تحقيق أهداف وحاجات بعيدة المدى مثل الاتصال بمتحدثي هذه اللغة يمارس لغتهم ويفهم تقاليدهم ويعيش ثقافتهم.

وباستقراء الموقف غير العاديّ المشوب بالسّلبيّة لأغلب العرب من اللّغة العربيّة نجده وليد الاحتلال الّذي بذل جهوداً كبيرة في نشر لغته في المجتمعاتّ العَربية لإحلالها محلّ اللّغة العربيّة قدر استطاعته، ممّا ساعد فى غرس حالة الاغتراب في العرب إزاء لغتهم العربيّة من جهة، ومن جهة أخرى بثّ موقف

التّحقير إزاءها، وبثّ مركّب النّقص بينهم تجاه استعمال العربيّة أو الدّفاع عنها وهناك مؤشّرات عديدة أنّ القيادات السّياسيّة لعقود ما بعد التحرر العربى من الاحتلال كانت ترحّب باستمرار ببقاء إرث الاحتلال في المجتمع العربىّ أي أنّ تلك القيادة لا تكاد تعتبر ذاك الإرث اللّغويّ الثّقافيّ معلما من معالم الاحتلال والغريب ان هذا مستمر حتى لحظة كتابة هذه السطور خاصة فى سوريا حيث من المقرر ان يتم تدريس اللغة الروسية فى المدارس السورية اعتباراً من عام ٢٠١٦ إكراماً للتعاون السورى الاسدى فى محاولة القضاء على معارضي بشار الأسد الذى دخل عامه الرابع.

المؤامرة على اللغة العربية

تصاعدت خلال الفترة الأخيرة دعوات لحماية اللغة العربية من موجة مد التغريب الرهيب التي يعانيها العالم العربي خلال السنوات الأخيرة نتيجة توسع الدول العربية في السماح لجهات غربية بإنشاء مؤسسات تعليمية بدءاً من مرحلة الروضة إلى مرحلة الجامعة، بعد سنوات كانت المراحل الابتدائية في التعليم حكراً على مؤسسات تعليمية وطنية حفاظاً على الهوية العربية والإسلامية لكن يبدو أن ضغوط الدول الغربية لاختراق مؤسسات التعليم العربية بكافة السبل قد أعجزت أنظمتنا عن اتخاذ مواقف تحمي بها أجيالها الصاعدة من هذا المد الجارف ومن التحول لمسخ مشوه لا يستطيع مواجهة حملات الغزو الثقافي، بل تغري هذه الأجيال بالتحول لعرّابين لهذا الفكر.

في هذا الإطار حذر مجموعة أساتذة متخصصين وخبراء عرب، من طغيان الاهتمام باللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية، وشدّدوا على خطورة تأثير الخدم والمربّيات والسائقين الأجانب في البيوت العربية والخليجية، وتعلم الأطفال لغات غير لغة وطنهم، مؤكدين أنّ اللغة العربية جزء أساسي من هويتنا وشخصيتنا الإسلامية والقومية، ومطالبين بالاهتمام بها، وأن نعطيها الاهتمام اللائق بها، وعدوا ذلك الاهتمام واجبًا على العرب والمسلمين، ولا يجوز التقصير فيه.

التعليم الأجنبي؛ ومصير اللغة العربية!

لماذا يدفع أولياء الأمور للمدارس الخاصة أضعاف رسوم التقديم للالتحاق بالمدارس الحكومية دون شكوى؟ في تحليل بسيط لأسباب تلك الظاهرة؛ وهي (عُزوف أولياء الأمور المقتدرين مالياً عن التقديم لأبنائهم في المدارس الحكومية نجد أن الأسباب وراء تلك الظاهرة كثيرة ومنها مستوى تعليمي مرتفع – إشراف غير حكومي على إدارة المدرسة مما يدفعها للتحرر من قيود الروتين الحكومي الذي يعطل، ويؤخر الكثير من تحديثات وتطوير المنظومة التعليمية وتقدمها – توفير وسائل تكنولوجية حديثة تجد أغلب المدارس الحكومية تفتقر إلى اقتناء أبسط الأجهزة التكنولوجية لمواكبة تطورات العصر الحديث – غالباً ما تكون هيئة التدريس على قدر عالي من الاحترافية وعلى وعي ودراية تامة بما تطلبه كل مرحلة عمرية من المراحل المختلفة التي يمر بها الطالب – بالإضافة إلى تعلم اللغات الأجنبية سواء كانت اللغة الإنجليزية –

الفرنسية – الألمانية – الإيطالية –. .. بالإضافة إلى مزايا أخرى لا تتوفر في التعليم الحكومي عامة، والمدارس الحكومية خاصة وعند النظر إلى أهمية دراسة اللغات الأجنبية نجدها بالغة الأهمية، خصوصاً في الوقت الحالي لكن المشكلة هنا أن يأتي تعليم هذه اللغات الأجنبية على حساب لغتنا الأم اللغة العربية لكنك تجد النظر إليها يكون من جانب أخر لا حساب فيه للهوية العربية، ولا غيره فقط هو أن سوق العمل يتطلب مهارات لغوية محدده، وأن صاحب اللغتين يُميَز عن صاحب اللغة الواحدة، وهكذا.

حتى أنك كثيراً ما تجد العبارة الشهيرة عند قراءتك لإعلانات التوظيف وشروطها تجد أهم عبارة هي يجيد اللغة الإنجليزية هذا بالنسبة للتعليم الأساسي ومدى تأثر الطلاب في تلك المراحل عندما تكون لغة أجنبية هي اللغة الأساسية في دراسته على حساب لغته الأصلية وإذا انتقلنا إلى مرحلة التعليم الجامعي فإنك تجد داخل التعليم الحكومي نفسه ما يماثل تماماً ما يحدث داخل المدارس الأجنبية، لكنه بطريقة أخرى ربما تكون أكثر ذكاءً من المدارس الأجنبية لأن في التعليم الجامعي تكون هذه الطريقة تحت مظلة التعليم الحكومي وليس التعليم الخاص بمعنى أن هناك كلية تدعى كلية الإعلام مثلاً؛ واللغة الأساسية للتدريس هي اللغة العربية؛ تجد أنه تم فتح شعبة داخل الكلية تدرس باللغة الإنجليزية، وتجده تحول بعد ذلك إلى قسم له رسومه الخاصة، التي تتطلب قدرة مالية للطالب للنفقة على دراسته، ومع الوقت يتحول إلى استثماراً، وتكون هناك زيادة سنوية للرسوم ولا يتوقف ذلك فقط على كلية

الاعلام بل تجد كلية الحقوق بها أقسام غير اللغة العربية مثلاً تجد شعبة حقوق إنجليزي، وشعبة فرنسي، وهكذا كلية التجارة تجد داخلها قسم اللغة العربية، وقسم أخر بالإنجليزية له رسوم خاصة مما يُحدث تفرقه بين الطلاب وفي ظل كل ما نكتبه، وننقله عما يسمى بالتعليم الحكومي، وما يحدث فيه من إنشاء أقسام جديدة بلغات أجنبية، ورسوم خاصة تجد الدولة تُحدثك عما يسمى بمجانية التعليم وفي ظل لهفة الآباء، وأولياء الأمور لالتحاق أبنائهم بتلك المدارس الأجنبية في مرحلة التعليم الأساسي أو الأقسام الأجنبية داخل التعليم الجامعي؛ يغفلون أنهم بهذه الطريقة يأتون على لغتهم العربية فتجد الطالب منهم أغلب كلماته باللغة الأجنبية التي يدرسها لكنها ليست العربية بالتأكيد وذلك يشير إلى حجم التهديد الذي يواجه اللغة العربية في ظل اتساع رقعة التعليم الأجنبي، واستحسان أولياء الأمور له.

حكم تعلم اللغة الإجنبية والتحدث بها

وعن حكم تعلم لغة أخرى مع العربية سؤل الشيخ ابن عثيمين قال أما تعلم اللغة غير العربية فهذا ليس حراماً، بل قد يكون واجباً إذا توقفت دعوة غير العربي لتعلم لغته، بمعنى أننا لا يمكن أن ندعوه للإسلام إلا إذا عرفنا لغته لنخاطبه بها صار تعلم لغته فرض كفاية؛ لأنه لا بد أن نبلغ هؤلاء الأعاجم وأعني بالأعاجم مت ليسوا بعرب دين الله وبأي وسيلة؟ بلغتهم كما قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ }فأحياناً يكون تعلم اللغة الأجنبية واجباً إذا توقفت دعوة أهل هذه اللغة لتعلم لغتهم.

لكن الذي ننكره ونرى أننا على خطر منه أن نعلم أبناءنا الصغار ذوي الخمس سنين وأربع سنين وما أشبه اللغة الإنجليزية حتى يتكون لسانهم الطيع في المستقبل، هذا هو الذي أنكره، وإلا إذا دعت الحاجة إلى تعلم اللغة الإنجليزية لدعوة الناس إلى الإسلام صارت فرض كفاية، وإن دعت الحاجة لأمور دنيوية مباحة صار تعلمها مباحاً وقد ثبت عن النبي ص أنه أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود، ولغة اليهود عبرية، وكانت تأتي رسائل من اليهود إلى الرسول ص والرسول ص يبعث إليهم بالرسائل، فاحتاج إلى تعلم لغتهم حتى يقرأ ما يرد منهم ويكتب لهم.

قال شيخ الإسلام: إن زيد بن ثابت تعلمها في ستة عشر يوماً، يقول شيخ الإسلام: تعلمها في هذه المدة الوجيزة؛ لأن اللغة العبرية قريبة من اللغة العربية، وهذا صحيح، ثم إن العرب فيما سبق كانوا أحسن منا وأصح أفهاماً وأقوى حفظاً، يأتي الشاعر يلقي قصيدة تبلغ مائة بيت ثم ينصرف ويحفظها الناس، نحن الآن لو ألقي بيت واحد على طلبة جاءوا للتعلم مرة واحدة، كم يحفظه منهم؟ يمكن واحد أو لا أحد.

على كل حال أقول: إن الذي أنكره وأرى أننا على خطر منه هو أن نعلِّم أبناءنا الصغار اللغة الإنجليزية، لأنها ستكون لساناً لهم، ويخشى عليهم أيضاً من تعلم اللغة الإنجليزية هل يقف هذا التعلم على مجرد النطق؟ لا أبداً، سوف يأخذ الكتب المؤلفة باللغة الإنجليزية ويقرأ الأدب الإنجليزي أو أدب غيرهم ممن وافقهم في اللغة ويحدث شر كثير، فليس مجرد أن اللسان يتغير، لا

الإنسان يريد أن يطالع الكتب التي من هذه اللغة حتى يتمرن على القراءة فيها، وحتى يتمرس اللسان على النطق بها،وما ندري ما وراء هذه الكتب، ويذكرون عن الكتب التي تكتب من أجل تعليم اللغة الإنجليزية أشياء سيئة وأما ماجاء في الحديث: من تعلم لغة قوم أمن مكرهم فهذا الحديث موضوع مكذوب، ليس بصحيح عن النبي ص، حتى بالمعنى لا يصح، هل أنت إذا تعلمت لغة قوم أمنت مكرهم؟ لا ولهذا نحن الآن عرب هل نأمن مكر العرب بنا؟ لا نأمن، مع إننا من أهل لغتهم فالصبية إذا تعلموا اللغة الإنجليزية تجدهم يتكلمون بها ويتخاطبون بها اذن التحدث بغير العربية لا يخرج صاحبه عن كونه معتاداً له أو كونه يخلط بعض الكلمات العربية بغيرها، وللحالتين تفصيل أيضاً.

أولاً: من اعتاد التحدث بغير العربية، فهذا كرهه جمع من السلف.

قال عمر: إياكم ورطانة الأعاجم وسمع محمد بن الحنفية قوماً يتكلمون بالفارسية فقال: ما بال المجوسية بعد الحنفية، ما بال المجوسية بعد الحنفية وكذا نقلت الكراهة عن الإمام أحمد وسبب الكراهة كما وضح شيخ الإسلام أمران:

الأول: الحذر من نطق كلام لا يعرف معناه، ومن هذا الباب منع العلماء الرقية بغير العربية خوفاً أن يكون فيها شرك أو ما لا يجوز

الثاني: أن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله.

وأيضاً فإن اعتياد ذلك من التشبه بالأعاجم، وقد قال النبي: من تشبه بقوم فهو منهم.

ثانياً: من يخلط العربية بغيرها.

قال شيخ الإسلام: فالكلمة بعد الكلمة من الأعجمية أمرها قريب، وأكثر الذين يفعلون ذلك إما لكون المخاطب مخاطباً أعجمياً أو أنه اعتاد الأعجمية يريدون إفهامه، كما قال النبي ص لأم خالد وقد ولدت بأرض الحبشة: هذا سني هذا سني، والسني بلغة الحبشة الجميل.

وينبغي أن يراعى في هذا المقام كثرت ما غلبت علينا به العُجْمَة وليس هذا دعوة إلى ترك تعلم العربية ولكن دعوة إلى الرفق في الإنكار والتعليم والصبر على استقامة ألسنتنا، وللتوسع يراجع اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام.

هل يمكن أن تنهض أي أمة بغير لغتها الأصلية؟

في الوقت الذي ترزح فيه أمتنا تحت تخلف شديد تتزايد الدعوات من قبل كثير من النخب بأن تتبنى دولنا اللغة الإنجليزية في تعليمها العام والجامعي، سواء كان ذلك بشكل جزئي أو بشكل كامل حتى نتمكن من اللحاق بركب الحضارة والتقدم، حيث أن غالبية العلوم الحديثة موجودة باللغة الإنجليزية، كما أن اللغة الغالبة في الصناعة والاعمال هي اللغة الإنجليزية أيضاً.

وفي الجهة المقابلة، يطالب الكثيرون بأن يكون أساس النهضة مبنياً على حضارتنا وثقافتنا الخاصة وأهم ما في ذلك لغتنا الأم اللغة العربية ويجادلون بأن كل الأمم التي نهضت وتقدمت، نهضت بلغتها الأم وابتدأت رحلة النهضة بمشاريع ترجمة ضخمة تبنتها الحكومات وكانت البذرة التي دفعت عجلة التقدم العلمي والصناعي فيها.

فهل يجب علينا أن ننشر اللغة الانجليزية بيننا ونجعلها اساس تعليمنا وتعاملنا ؟ أم اننا قادرين على النهضة بلغتنا الأم كما فعلت كثير من الدول الاخرى مثل اليابان وكوريا وفنلندا وتركيا ودول أخرى كثيرة حيث اعتمدت هذه الدول على لغتها الأم بشكل مطلق في تعليمها وفي أعمالها وتمكنت من النهوض والانتقال لمصاف الدول المتقدمة.

هل يجب أن نطور قدرة أجيالنا على التعامل باللغة الانجليزية؟ أم أن علينا أن نعرب تعليمنا واقتصادنا بشكل كامل حتى نتمكن من النهوض؟.